خليل الله

نبي الله ابراهيم .. ابو الانبياء

الذي تحدى بقوة ايمانه نيران الطغاة

بقلم

محمد نجيب البوطي

خليل الله

نبي الله ابراهيم .. ابو الانبياء

الذي تحدى بقوة إيمانه نيران الطغاة

بقلم

محمد حبيب البهتي

بسم الله الرحمن الرحيم

حاكم بابل

كان يحكم بابل فى قديم الزمان حاكم غريب الأطوار يدعى نمروذ ابن كوش - كان يرى فى بعض الأحيان هادئا محببا للناس مؤثرا اياهم بالخير - ويرى فى أحيان أخرى كئيب النفس ظالما لا يتورع عن البطش بأقرب الناس اليه — فكان الناس فى حيرة من أمره لا يعرفون متى يلين الحاكم فيسعون اليه بأمورهم ولا يعرفون متى تجتاح نفسه هذه الموجة الغاشية من الكآبة التى لا يعلم أحد لها سببا .

فكان الناس يتهامسون بأن نمروذ بن كوش قد أصابه مس من جنون - وزادهم اعتقادا فى ذلك ما كانوا يعلمونه عنه من ولعه بكل غريب من الأمور فهو يقرب اليه أولئك الذين يسبقون غيرهم فى ابتكار أشياء عجيبة لم يسمع بها أحد من قبل ويمنحهم فى ذلك مكافآت سخية - فكان الراغبون فى القرب منه يتنافسون فى ابتكار الأشياء الغريبة سواء من الأفكار أو الأعمال ليتالوا بذلك الحظوة لدى نمروذ بن كوش .

عندما تكون الحياة فوضى

وكان الناس فى ذلك الزمان يعبدون الأصنام ويتخذون

لكل أمر من أمور حياتهم صنما - فهذا صنم إله للاعطاء يسألونه الغيث إذا ظمأت الأرض إلى الري - وهـــذا إله للصحة يسألونه العافية إذا ألمت بهم الامراض - وهذا إله للحرب ينشدون عنده القوة إذا داهمهم عدو .

قيل أن رجلا ذكيا تقدم إلى الملك الغريب الاطوار بفكرة عجيبة غريبة أعجب بها الملك اعجابا كبيرا إذ اقترح أن يكون عدد الآلهة الثلاثمائة وخمسة وستين إلها بقدر تعداد أيام العام . حتى يكون لكل يوم من الايام إله خاص يتعبد له ويتقرب بكل الامر فيه فهذا مثلا اليوم الاول من العام اليه تتجه قلوب المخلائق أجمعين في هذا العام وعند ساعته يسجدون . يسألونه الصحة والمال والسلامة من الاعداء - فاذا انتهى اليوم تولوا بوجوههم شطر إله اليوم الثاني تاركين إله الامس لينعم بالراحة والنسوم ما تبقى بعد ذلك من أيام العام الطويلة حتى يحين حينه فيما يقبل من العام القادم بعد أن يكون هذا الإله قد استمتع بهذه الاجازة الطويلة العميقة التي أخلد فيها إلى نوم لذيذ .

صـــناعة رابحة

ولقد أعجب نمروذ أيما اعجاب بهـــذه الفكرة الرائعة التي فيها راحة للالهة من عناء الناس . وفيهـــا تجديد وتلوين لاشكال

الآلهة ذوى العدد الكبير مما يجعل لهذه العبادة أعيادا متكررة حين يودع الناس كل يوم إلها ليستقبلوا إلها آخر. وأرسل الملك يستدعى آزر ناحت الاصنام يطلب مشورته فى هذا الامر الجديد الخطير. وجاء آزر واستمع إلى أمر الملك ولم يدل آزر بجواب سريع وانما راح فى سره يحسب الارباح الطائلة التى سيجنيها حين يكل اليه الملك أمر صناعة هذه الآلهة الكثيرة المختلفة الشكول والالوان فلما استقر فى قلبه الرضا عن نفسه وعن هذه الاموال التى سينالها من تنفيذ هذا الاقتراح رفع رأسه إليه وقال

مولاى - انها لفكرة رائعة وأن الآلهة عنها لراضية وبتنفيذها مسرورة .

فامر الملك نمروذ أن يرفع صاحب الاقتراح إلى مرتبة وزير وأن يبدأ آزر ناحت الاصنام فى البلاد منذ اليوم فى صنع هذه الآلهة الجديدة التى خلقها هذا الاقتراح العجيب .

آزر صانع الأصنام

اجتهاداته

وشمر آزر عن ذراعيه .. وشد بقوة على ازميله ومطرقته - وراح ينحت من الاحجار آلهة على أشكال شتى - وإلى جوارها

كان يجلس ولده الصبي الصغير يجيل النظر فيما يصنع أبوه دهشاً مأخوذا - يأخذه من وراء ذلك هم كبير إذ لم يسع عقله على صغر سنه أن تكون هذه الأحجار التي ينحتها أبوه آلهة بحق

وكان ذلك الصبي هو ابراهيم .

لعب - ولهو

على أن آزر لم يحفل برأي ولده في هذه الأحجار - لقد كان مشغولا بجمع المال - وإن كان يأسف لأن ابراهيم لا يقبل على هذه الصناعة الرابحة ليرثها عن أبيه فيصبح فيما يقبل من الأيام من كبار الأغنياء - لقد كان يريد ان يدفع ابراهيم بشدة نحو هذه الصناعة - ولكن الوقت أمامه لا يتسع فعليه أن يخرج لآل بابل آلهة عددها كعدد أيام العام

فهو إذن مشغول بالليل والنهار - وكلما أتم صنع إله - أطلق لفرحه العنان وأرسل إلى الملك نمرود يطلب اقامة حفل كبير لنقل الصنم الى الساحة العظمى التي اعدت للآلهة المنتظرة التي يصنعها آزر بيديه إلها بعد إله

تقف في الساحة الكبرى في صفوف بعد صفوف - أحجاراً منحوتة لو نطقت لصبت اللعنات على صانعها - وحاملها . وعابدها الى يوم الدين

يوم العيد

وإذ علم الملك بما كان من اتمام آزر لهذه الأصنام التي واصل من أجلها الليل بالنهار شمله فرح غامر ـ وامر ان تقام الزينات وأن يكون اليوم الأول من العام عيداً شاملا للالهة اجمعين

ولما حان موعد هذا اليوم ، ذهب الملك بنفسه ليمسح التراب عن وجوه الآلهة الذليلة ويعطرها بالطيب ويخر تحت اقدامها ساجدا ولكي لا يراه القوم راكعا أمام هذه الأحجار الرابضة في الساحة العظمى امر ان تخلى الطرقات والمعابد من الناس حتى لا يراه في ذلك اليوم انسان وهو يسعى خاشعاً إلى ساحة الآلهة فان رؤيته على هذا الحال قد تذهب بهيبته من القلوب وتجعله بين الناس كأنه واحد منهم

انتهاز الفرص

ولكن رجلا ذكيا كان هو الآخر يبغي الرفعة عن طريق ابتكار شيء جديد يرضي هذا الشاذ ـ فاتخذ الرجل اهبته لذلك اليوم الموعود حين يخرج النمروذ سعيا على قدميه الى ساحة الآلهة ـ فلما كان الملك في بعض الطريق برز له المغامر الجريء ثم صاح ـ قف مولاي لا تتقدم خطوة الى الأمام حتى تعلم نبوءتي التي بذلت في سبيلها عشر سنين ارقب النجوم وارصدها حسابا

وكان الفروز كما ذكرنا غريب الأطوار مولعا بكل شاذ وحتى فى الكلام فاستفزته هذه الكلمات الغريبة الغامضة المعنى وقال للرجل فى اهتمام

تقدم بنبوءتك . واعلم أن القتل جزاؤك العاجل ان كنت كذوبا - فقد أصدرت إلى رعيتى أمرى ألا يلقانى أحد فى الطريق وما أنت تعصى ذلك الأمر .

قال الرجل وهو يسجد خاشعا .

عفوا مولاى - فإنما دفعنى إلى ذلك ولائى وفرط اخلاصى وما كان لمثلى أن يعصى أمرا أصدرته أنت ما لم تدفعنى إلى ذلك نبوة السماء ولكن بحق الآلهة الكثيرة المقدسة إلا ما حدثتنى مولاى ألست أنت قادرا على أن تقتلنى الساعه . . ؟

قال الملك - أجل مافى ذلك ريب - ان شئت أمرت بك فتكون فى لحظتك هذه طعاما للسباع

قال الرجل وهو يزداد تخابثا

ولكنك يامولاى حين ترى صدق نبوتى سترفعنى بلا ريب مكانا عليا .

قال الملك - هو ذاك

فهتف المغامر اللئيم - فأنت إذن يا مولاى ان شئت قتلتنى .

وان شئت أسعدني - فأنت الوحيد القابض على رقاب العباد وأرزاقهم - انك أنت أيها الفرعون بن كوش المانح المانع تعز من تشاء وتذل من تشاء .

واستطرد الرجل في صوت ذليل راعش

أي مولاي - بيدك وحدك أسباب الموت والحياة - انك تفعل ما لا تقدر عليه آلهتنا مجتمعة فلو انك أمرت بازهاق روحي وذهبت أنفس أسباب النجاة من هذه الآلهة الكثيرة الرابضة في الساحة المقدسة لعجزت هذه الآلهة عن رد مشيئتك

قال الفرعون بن كوش وقد راح من وراء هذه الأقوال نهبا لشتى الأخيلة والأوهام

التسخر انت يا رجل من آلهتنا

قال الرجل

عفوا يا مولاي - فليست الآلهة في استطاعتها - وانما هي على جلالها دونك قدرا - انك انت الآخر الها يا مولاي . انك انت الإله الحي وهي الآلهة الصامتة الجامدة . ان تواضعك يا مولاي هو الذي جعلك تنسى انك كبير الآلهة . سبحانك - سبحانك راهتز الفرعون ابن كوش وراح في زبد من الخيال البعيد اللذيذ يردد

انني الإله الحي . المانع المانح . بيدي وحدي اسباب الموت والحياة . . الا ارى ما هذا الكلام : من اين جئت به يا رجل . . . ؟

قال الدجال وقد هزته نشوة النصر المفاجئ:

انه ليس قولى يا مولاى . وانما هى كما اسلفت نبوة السماء . انك انت إله حى . بل انت كبير الآلهة . سبحانك . سبحانك

* * *

يصبح فقصه

وظل نمروذ بن كوش ليلته تلك سهرانا لم يغمض له جفن ولم تتردد فى اذنيه اصداء حلوة منغمة كأنها الأناشيد تزفها موسيقى الشياطين وقد دخل فى روعه انه كبير الآلهة ـ وانه الإله الحى

* * *

وفى صباح اليوم التالى رفع الدجال الى مرتبة وزير اعظم وكاتم سر الإله الأكبر

وارسل فى المدائن منادين بان النمروذ بن كوش قد اصبح منذ اليوم الإله الحى . وزعيم الآلهة اجمعين

* * *

نفاق فى كل زمان

واسرع الناس افواجا افواجا إلى النمروذ يباركون الوهيته ويطلبون رضوانه وجعل كاهنه الأعظم يطوف حوله

يلباخر ويبرز لهم ذلك المجنون المخدوع في هالة من دخان البخور وتنال النروذ أكداسا من الفضة وراح ينثرها على الجوانع الحاشدة وهو يصيح انظروا التي امنحكم الآن الأرزاق

فسجد الناس له ، وسجد معهم آزر فاهت الأصنام وفرح الناس جميعا — الا شخصا واحدا — كان في هذه اللحظة يبكي بدمع مدرار

انه الفتى ابراهيم

كان يبكي هذه الإنسانية المهدرة الكرامة

كان يبكي هذا المشرد المخدوع

كان يبكي الحق الذي يلبس ثوب الباطل

فانفلت ابراهيم من الجمع متجها صوب الفضاء العريض تقوده قوة خفية — الى حيث لا يدري

انه ينشد لروحه الظامئة ريا

* * *

هذا ربي ...!!

حيرة ابراهيم

ومضى ابراهيم في ظلام الليل لا يلوي على شيء — يسمع من

بعد اصوات القوم وتسليحهم باسم نمرود يسعون في الفرار من هذه الاصوات التي تلاحقه . وان الهم ليعصر قلبه

انه لا يريد العودة الى دار ابيه آزر حتى لا يرى هذه الأحجار البغيضة التي تملأ رحاب الدار ، ولا يريد ان يلقى في هذه الأمسية انسانا . فإن الناس جميعا لا يتكلمون الا عن باسط الرزق المانع المانع نمرود

ولم يجد ابراهيم بعض الراحة الا حين تقدم الليل وهدأت الأصوات ونامت الدنيا واستيقظ فكره ونشط عقله فاتخذ مجلسه بين ظلام الليل في حقل ملأت جوه عطور الأزاهير الفواحة بين الورود التي انعش عطرها نفسه فذهب يتأمل الكون مليا

* * *

نجم في السماء

ولم يكن يستطيع ان يرى ما حوله حتى رأى هذا النجم الرشيق يبرز رويدا رويدا ثم يتألق في الفضاء البعيد في الافق الاعلى ويضيء الوجود من حوله ضياء رائعا خلابا وكل شيء يبدو دونه تافها فتراجع ابراهيم يمعن فيه النظر وقد سرى اليه خاطر عجيب ترى أيكون هذا النجم الصغير المشع اقوى من هذه الكائنات جميعا ...

نعم ـ أنه يبدو هكذا فهو وحده يتحرك فى مكان فى السماء لم يصل اليه سواه .. فلا يعقل أن يكون أحد قد رفعه إلى هذه المنزلة . وانما هو الذى رفع نفسه اليها . ثم أن الكون كان غارقا فى الظلام فلما بزغ هذا النجم أضاء الوهاد والنجاد والجبال والوديان وأضفى بنوره على الأزهار ، فهو اذن مانح النور الذى هو أسمى نعم الحياة .

ترى أيكون هذا النجم هو الإله الصادق . . ! ؟

* * *

فى محراب الفكر

ان ابراهيم مشغول بالبحث عن الله يريد قلبه أن يؤمن ويطمئن فانه من المحال أن يكون لهذه الأصنام شأن ـ فهى من الهوان بحيث لا تملك من أمرها شيئا ـ أن أباه هو خالقها على هواه ـ إن شاء جعلها كبيرة الحجم . وإن شاء جعلها تافهة ـ وإن شاء أتقن صنعها وهو ينحتها ـ وإن شاء أخرجها مشوهة بعيدة عن التناسق والانسجام ثم هى فى كل الأحوال تقبل هذه الأوضاع التى تفرض عليها صاغرة ذليلة .

انها ليست سوى أحجار

كما أن النمرود بن كوش ـ ليس بمخلوق مقرب ـ لأنه هو

الآخر لا يملك من أمر نفسه شيئا ـ فهو لا يعلم ماذا سيكون من أمر نفسه بعد هذه اللحظة التي هو فيها ـ ولقد يطرق عليه طارق بابه فلا يعرف من الطارق.

فكيف يكون الإله على هذه الدرجة من الجهل

لا ـ ان النمروذ ليس شيئا مذكورا إنما مثله كمثل هذه الأصنام ولكن لا بد من خالق ـ هو الذي خلق الكون وأودعه سره وحركته وهو عالم مدبر يشرف على مخلوقاته جميعاً ..؟

ويزداد النجم في كبد السماء ضياء ويزداد ابراهيم تعلقا به حتى لقد ذهب عن قلبه ذلك الهم الذي ران عليه وقتا غير يسير ويصيح ابراهيم فرحا . لقد وجدت ربي . أنه هو هذا النجم القوي المضيء.

* * *

التأمل عبـــادة

ولا يستطيع ابراهيم أن يعود إلى الدار بعد أن اكتشف ما خلقه ربا قائما في السماء

ولكنه ما يلبث حتى يرى سحابا كثيفا يزحف صوب النجم الصغير ثم تقترب سحابة كبيرة داكنة من النجم شيئا فشيئا . ويبدو النجم المضيء كأنما هو يرتجف منها خوفا ـ فتهتز أنواره وتتخافت

حتى تطفى عليه السحابة فتبتلعه فى جوفها وتبتلع معه أسناه وأنواره وتدلح الدنيا فى ظلام عميق

وينهار ابراهيم أسفا وحزنا — ضاربا يدا بيد على ما فرط منه من أمر هذا النجم التافه الذى ظنه إلها وما هو بشىء — لقد كان ابراهيم قد ذاق برد الاطمئنان

ولكن ها هو من جديد — ولما يمض على اكتشاف النجم غير ساعة . يحس مرة أخرى أشواك الشك تخزه

أن روحه العظمى فى ظمأ كبير إلى معرفة الله — مالك الملك خالق الأرض والسموات — ومدبر أمرها

ورفع ابراهيم رأسه مرة أخرى إلى السماء وقد برز من بعيد ضياء قوى كاسمع — أنه ضياء فضى لامع ينبع من قرص كبير

ورأى ابراهيم هذا القرص العظيم المستدير وهو يقهر السحاب وينفذ منه قويا منتصرا

يا للقمر القاهر البازغ

أنه يرعى الأرض — وينحها نوره — ثم هو يقهر فى السماء هذه السحب الثقال

وامتلأ قلب ابراهيم بالفرح الغامر

وقد ظن مرة أخرى ان القمر . هو ذلك الرب العظيم الوهاب

* * *

في تيه الفكر

وعاد ابراهيم إلى داره سعيدا قرير العين يغمره ضياء القمر ويملأ قرصه الأنيق البديع . . وآوى ابراهيم إلى فراشه مطمئنا وقد رأى من هو أكبر من أى قوة في الأرض . رأى القمر ساكن السماء . قاهر السحاب .

واستلقى ابراهيم في فراشه وعينه من نافذة الدار ترقب القمر العظيم — وتفتحت أمامه مغاريب الفكر والتأمل

ما أعظم آيات الكون — إن كل آية تشير إلى خالق عظيم حكيم بديع

أن ابراهيم يتحدث إلى نفسه وهو يرقب القمر مسرورا

هذه الأرض السوداء التي تنبت الأثمار والأزهار — أى يد هذه التي تمتد إلى باطنها فتضع في الخفاء تحت سطح التربة هذا النبت الصغير الذي يشق الأرض ويبرز قائما مختلفا اشكالا وألوانا — من ثمار الأرض ما هو ملح — ومنها حلو — ومنها ما هو بين ذلك وأمها جميعاً واحده هي الأرض .

فمن الذي أعطى كل ثمرة لونها وطعمها وشكلها لا بد من صانع بديع كل شيء — قادر على أن يفعل هذا في كل مكان وفي ملايين الجهات في وقت واحد دون أن يتلف صنعه أو يتأخر عن موعده .

أن له قدرة غير محدودة — انه لايصنع الخلائق والموجودات بيديه كما يصنع الانسان . وإنما له قدرة اختص نفسه بها سبحانك ربي ما أعظم شوقي اليك . . . ؟

وينظر ابراهيم إلى القمر

ويشحب وجهه ويضطرب — ويهم من فراشه مذعورا واقفا

لقد اختفى

لقد بدأ ضياء الفجر فانهزم القمر وتولى

وحزن ابراهيم مرة أخرى — ونفض يديه من هذه الظنون وراح يتفكر — أين ذهب القمر .. ؟ أى قوة أخرى أكبر هذه التي ردته إلى أعقابه وطوته فى عالم الغيب البعيد ... ؟ نعم أى قوة هذه . . ؟ إنها الشمس .. ! !

ذات الضوء الذهبي القوى الوهاج - الضوء الذى هو غذاء الأجسام — به تنمو الحاصلات — وفى رحابه يذهب الناس إلى أرزاقهم ولولا الشمس لكانت الارض جليدا لا تستطيع فيه نفس أن تحيا . . . ان الشمس أعظم شأنا من القمر

وراح ابراهيم مرة أخرى يرقبها وهى تتنقل عزيزة مهابة فى أبراجها .

وتقدم الضحى فازدادت الشمس قوة وبهاء - وازداد ابراهيم بها اعجابا وفتحت له هذه الآيه محاريب الفكر على مصاريعها .

إن الدين الحق يأتى عن طريق الفكر والتأمل
عن فهم آيات الله فى الآفاق - وفى أنفسكم . . أفلا تبصرون
ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات .
وراح ابراهيم يبحث عن ربه - عن صاحب هذه الآيات .
أنه يريد أن يجد برهانا يطمئن اليه قلبه العظيم
واستدارت أمامه الشمس - ولكنه بدأ يشك فى ذاتها
انها لا يمكن أن تكون ربه الذى يبحث عنه . ان الله أعظم
من ذلك وأكبر

إن الحياة أكبر من هذه الشمس - وليست الشمس على جلالها
إلا شيئا تافها بالقياس إلى قدرة الخالق العظيم

ربى اين أجدك . . !! أين . . . ؟
إنى قلبى فى ظما اليك
وإن روحى تبحث عن غذائها الحق -
وازدادت الشمس فى برجها العالى قوة عند الاصيل - ولكنه
أدار عنها وجهه وتولى - لا - لست أنت التى تحيى الكائنات ولست
أنت التى تبعثين النفوس بعد موتها .
وجعل يتفكر فى آية البعث

ان هـــذه الحياة الدنيا لا يمكن أن تكون غاية الانسان ـ ان الاشرار قد يسودون فيها ويعبدون فيها من الظلم ما يحقق لهم بعض المتاع التافه ولو كانت الحياة هي كل نصيب الانسان ـ لما سمح الله جلت حكمته أن يعيش فيها اصحاب المبادىء والأفكار والاخيار من بني الانسان وهم يلقون المحنة والعذاب من الاشرار

ولكن الله جعل أمر هـــذه الدنيا تافها ولذا يبذلها لمن يحب ولمن لا يحب

* * *

وأما الحيـــاة الاخرى

ولكن الحياة الاخرى الخالدة لن تكون إلا لاحباب الله

إذن فهناك حياة اخرى اعظم من هذه وأجل

تقـــدم النهار ونظر إبراهيم إلى الشمس وهي تولى الادبار مرتعشة واهنة يهزمها الظلام .

وفي هذه المرة لم يحزن ابراهيم ـــ وانما ضحك وهو يشيع الشمس إلى قبرها وراء الافق البعيد

ضحك من هذه الشمس لانه ادرك انها ليست على قوتها إلا آية من آيات الله ـــ وادرك من شيخوختها بعـــد شبابها ، ومن

عنها بعد قوتها — إن هذه هي سنة الحياة . لكل امر نهاية — فانه بعد كل صحة مرض — وبعد كل ليل نهار

لم يحزن ابراهيم لموت الشمس

لان قلبه قد اطمأن الى الله الواحد الاحد — الذى جعله يسبح فى ملكوت الفكر ليؤمن قلبه

انه هو الواحد الاحد — الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وبكى ابراهيم فرحا — وهو يستقبل فى قلبه انوار الإيمان . . . ؟

وسجد ابراهيم لله تعالى خشوعا — وشكرا

سبحانك ربى لقد وجدتك بعد هذه الرحلة الطويلة فى عالم الفكر .

* * *

اشراق النور

وايقن ابراهيم انه ان يرى الله جهرة وانما يراه ، فى آياته فان الحياة الارضية الترابية ليست مكانا جديرا بأن يتجلى فيها الله لعباده . وان الروح وهى حبيسة الجسد الارضى لن تستطيع ان ترى ربها . لقد آمن إبرهيم بربه وبأن بعد هذه الحياة الارضية حياة اخرى سيرى فيها ربه

وبعد الموت

ومرة أخرى راح يتفكر فيما بعد الموت - عجبا .. ؟

أهذه الأجساد بعد أن تموت . وتبلى وتصبح عظاما وترابا وتختلط بالأرض وتذروها الرياح - تعود من جديد فتجمع . ! ؟ سبحانك ربي - كيف سيكون هذا .. ؟

وجاءه الوحي من ربه . أو لم تؤمن يا ابراهيم .. ؟

وسجد ابراهيم لربه أدبا وأجاب - بلى ولكن أريد أن يطمئن قلبي بعد أن آمن عقلي - ربي هبني من عندك برهانا - ان ذلك أمرا يسيرا يا ابراهيم

أجل ربي - انني لأوقن أن ذلك يسيرا - بالقياس الى قدرتك فإني أرى الطفل يولد لا تمتد إلى بطن أمه وهو جنين فيها يد لتصنعه كما تشاء ذكرا أو أنثى - ولكن قدرتك هي التي تقول له كن فيكون - وأنه ليبرز إلى الحياة قطعة من لحم وعظام ولكن قدرتك تضع في هذه القطعة من اللحم نورا لتبصر عيناها - وتضع في أذنها سمعا لتسمع - وتضع فيها عقلا لتبحث عنك سبحانك بين آيات خلقها وآيات الكون البديع الذي صنعته يداك انك أنت يا ربي صانع كل هذا .

* * *

ولكن حين تستوى قطعة اللحم بشرا سويا . . وحين تأخذ حظها من الحياة ثم تموت . . ثم تصير ترابا . . كيف بعد ذلك تبعث من جديد . ؟ ان ذلك لحق . . ولكن قلبي يريد أن يرى .

* * *

من آيات الله

خذ أربعة من الطير يا ابراهيم . . واختر من أنواع الطيور ما تشاء . ثم اذبح هـــذه الطيور ثم مزق أجسادها مزقا مزقا . حتى تصبح هذه المزق صغيرة كأنها حبات الحمص الصغير . وجففها فى النار واسحقها واجعلها ترابا . . ثم انثر هذا التراب فوق الأحجار وعلى قمم الجبال . وفى جوف البحر . ثم انظر بعد ذلك ما يكون

واسرع ابراهيم فاختار أربعة من الطير . ووضع فى كل منها علامة خاصة . فى عنق هذه وضع حلقة صغيرة وفى رجل تلك ربط قطعة من قماش . وعلى جناح هذه وضع علامة حمراء . . ثم ذبح هذه الطير . ثم حرقها فى النار حتى صارت كالفحم ثم سحقها سحقا وذهب يلقى من نثارها مع الريح فتحمله الى كل مكان - وذهب يلقى على الجبال بضعة من هذا المسحوق - ثم يلقى بجزء منه فى قاع بئر عميق

حتى إذا تم له ذلك صفق بيديه

فيا للآية العظمى . . . ؟

لقد أقبلت عليه الطير مفردة تضرب الهواء بأجنحتها .. يدفعها اليه حنين غريب فقد حفت فوق كتفه وبين يديه وجعلت تلتقط من بين يديه الحب الذى أعده لها من قبل - وأنه ليرى بعين العجب نفس العلامات التى وضعها عليها . . نفس الحلقة الصغيرة فى عنق هذا الطير الرشيق الصغير . وقطعة القماش الصفراء التى ربط بها رجلى هذا المقاتل الشديد . ونفس العلامة الحمراء التى رسمها على جناح الحمامة الوادعة .

سبحانك ربى لقد اطمأن قلبى

وسجد ابراهيم بين يدى مولاه

وأصبح ابراهيم مسلما .. أنه هو المسلم الاول انه النبى الذى عليه منذ اللحظة أن يدعو إلى دين الله الحنيف

* * *

(وإذ قال ابراهيم رب . أرنى كيف تحى الموتى . : قال أو لم تؤمن — ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبى — قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك : ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا — ثم ادعهن يأتينك سعيا . واعلم أن الله عزيز حكيم)

* * *

ولقد تم كل هذا

وأصبح ابراهيم نبيا

هيا يا ابراهيم. أيها النبي . إلى الجهاد في سبيل الله . . قرير العين يا ستلقى من عنت الناس . فان ذلك سنة المجاهدين

هيا يا ابراهيم الى الحياة . الى الجهاد في سبيل الله ـ لقد كتب عليك منذ الآن الجهاد والكفاح في سبيل الغاية العظمى ـ ستجد عناء . تعبا شأن كبار القلوب فأنما يهنأ بالراحة الكسالى والغافلون استعذب التعب يا ابراهيم فان التعب غذاء النفوس الكبيرة ـ ولن تنال الراحة الكبرى إلا على جسر من التعب . لا تخش شيئا . فان الله معك وهو سبحانه ناصر المؤمنين .

* * *

رجل يعدل أمة

بقوة الإيمان

أحس ابراهيم قوة جديدة تسمى اليه . فقد صار وحده أمة لو وزن بأهل الأرض جميعاً لرجحهم يقينه أجمعين . انه امتداد الإيمان في القلب وامتداد العقل في الآيات ـ واتصال الروح بالله لقد كان يرى بابل من قبل فيخالها الدنيا ـ ويرى من فيها من اقوام

يضطربون فى شئون حياتهم وطموحهم فيظن أنه ليس هنالك بعدهم قوم آخرون - أما اليوم فانه يرى بابل على سعتها لا تعدل ذرة تائهة فى رمال الصحراء الشاسعة بالقياس إلى ما أحسه قلبه من سعة ملكوت الله - ويرى قومه سادرين فى هذا الباطل الذى أخذوا أنفسهم به فلا يحس لهم حقداً ولا بغضا - وانما يحس شفقة رحيمة بهم - وحبا لارشادهم ورغبة فى أعلامهم بفضل الله عليهم وتذكرتهم بكرامتهم التى أضاعوها اذ جعلوا أمرهم إلى مخلوق هو النمرود يسجدون له ويدعونه من دون الله

* * *

كيف يبدأ

أن ابراهيم يريد أن يبدأ الدعوة

ولكن كيف تكون البداية . . . . ؟

أنذر عشيرتك الأقربين . . .

تلك أول شروط الدعوات . فإن تك صاحب فكرة . فأولى الناس بها قبل سواهم أهلك وعشيرتك . . فلو آمن بك أحد منهم لكان لك فى أمرك ذاك العظيم وزيرا ومعينا - وناصحا أمينا

تلك طبائع الأشياء

أن يبدأ الناس بالأقربين

ومن أقرب إلى ابراهيم من أبيه . ؟ آزر . صانع الأصنام

☆ ☆ ☆

عود حميد

لقد عاد ابراهيم إلى الدار التي خرج منها حائرا ضيق الصدر وعاد اليها نبيا

ويستأذن ابراهيم على أبيه . فلا يشعر به الرجل . فقد شمر آزر عن ساعديه وذهب يضرب بأزميله ومطرقته الحجر . فان القوم على بابه ينتظرون مزيدا من آلهة الأحجار . وفي كل ساعة يأتيه من قبل النمروذ رسول يقول . . عجل بنا يا آزر عجل . . نريد عشرات وعشرات الأصنام . نريد أن تملأ أرض بابل آلهة من هذه التي تصنعها

ويكب آزر على وجهه نشطا مجتهدا . فرحا بهذه الأكداس من الذهب التي تتراءى من وراء صناعته تحت قدميه

ويقف ابراهيم أمام أبيه ويطيل الصمت والوقوف

حتى يرفع آزر اليه وجهه وهو يمسح عرق جبينه المتصبب ويقول . واها لك يا ابراهيم — تعال يا بني وكن عونى في هذه الصناعة . وخذ أسرارها لتكون غنيا فتصبح بين القوم من أصحاب الضياع والجاه البعيد .

وصمت ابراهيم وراح يدير فى نفسه المعانى
كيف يبدأ مع أبيه القول .

أنه صاحب دعوة . جدير به أن يتخذ لها الأسباب المناسبة — وأن يتهيأ لها الفرص . وأن يهيء لها الأمور . وما أسبابها الا طرائق الحكمة ولين الخطاب — بالمنطق الحكيم الرصين . فرب كلمة جافة نابية تثير عناد المخاطب وغروره فيتصدى ويمعن فى الضلال

ومن أولى بلين الخطاب من الأب حين يتحدث اليه ابنه . ولو كان الاب كافرا آثما . . ! ! ؟

* * *

قال ابراهيم . اى أبت العزيز — انك دعوتنى ان أكون لك عونا فى صناعتك . فهلا أرشدتنى إلى فائدة هذه الصناعة والغاية منهـــا . . . ! ؟

قال آزر وقد سره منطق ابراهيم انها صناعة الآلهة انى أقدم القوم الارباب المعبودين

قال ابراهيم . أو تعبدها أنت أيضا يا ابت . ؟

قال آزر وهو يدير فى ابراهيم نظرات فاحصة . نعم يا ابراهيم

قال ابراهيم — أنى أفهم يا أبى ان يكون الإله أقوى من

عبده — ولكني أراك وانت عبد لها اشد منها قوة واعظم قدرا فأنت تتحدث يا ابي وهي صماء لا تبين . وأنت تعقل يا ابي وهي لا تدرك من أمرها شيئا ثم أنت يا ابي ان شئت حطمتها قبل ان تبرزها إلى ساحة الاغنياء الذين ينتظرونها

فكيف يرضى رب ان يحطمه عبد من عباده — ! ! ؟

ان هذا لشيء عجاب

ان هذه الاصنام يا أبي ليست بآلهة

وسكت آزر فلم يجب

وسر ابراهيم بهذه النتيجة سرورا كبيرا — فان صمت ابيه من اول علامات التأمل والتفكير — ولعل هذا التدبر والتأمل يفتحان امام آزر بابا من ابواب التبصر — وحمد ابراهيم ربه إذ هداه الى هذه الحكمة في لين الخطاب فلم يبدأ بتسفيه رأي ابيه

* * *

مدارج الحكمة

وإذ ذاك راى ابراهيم ان ينتقل إلى خطوة اخرى انه يريد ان يستثير عاطفة الأبوة — فان كل اب يحب ولده اكثر مما يحب نفسه — وان الاب ليسعده ان يكون لولده شأن كبير — وليس هناك شيء اعظم من ان يكون الانسان نبيا

ان هذه مرتبة فوق الملك .. بل فوق الحياة - فلو علم أبوه بذلك فقد يفرح بهذا الخير العظيم الذى اختص به ابنه من دون الناس أجمعين . وقد يدفعه هذا الشعور إلى الإيمان بولده

قال ابراهيم بحكمته التى أحاطت بكل شىء خبرا

أى أبى العزيز الكريم - أيسرك أن يكون ولدك صاحب شأن عظيم

قال أبوه وهو يرمقه معجبا - وهل فى ذلك شك يا ابراهيم ؟

قال ابراهيم . . أيسرك أن يتخذنى النمروذ وزيرا . . ! ؟

قال آزر وقد غمرته نشوة فرح غامر . ليس شىء أحب الى من هذا يا ابراهيم — إذن لذهبت بين الناس مزهوا أفخر بشأنك الكبير - حين تكون اقرب الناس الى النمروذ العظيم

قال ابراهيم - إذن فاعلم يا أبى - انه قد جاءنى منصب اعظم مما للنمروذ ذاته .

. . .

مكابرة وعناد

قال آزر — وقد ترك عمله — وأقبل على ابراهيم محدقا فيه يظن به الجنون — إذن فحدثنى عما تزعم يا ابراهيم - أخشى يا بنى أن يكون قد مسك طائف من جنون

قال ابراهيم مبتسما . . كلا وانما قد مسني يا ابت طائف من هدى ونور . . ان هذه الأصنام يا ابي ليست بآلهة . وليست غير أحجار . . وإنما الإله الحق هو الذي خلقني وخلقك وخلق الناس جميعا وصورهم في الأرحام كيف شاء . . ان هذا الكون يا ابي له مدبر حكيم . . وهو الذي يطعمنا ويسقينا واذا مرضنا فهو يشفينا . . وهو الذي يميتنا ثم يحيينا . . ان هذا الاله يا أبي هو واحد أحد فرد صمد وهو سبحانه قد اختارني نبيا . . فابشر بذلك يا ابت وقر عينا

* * *

بين النـــور والظلام

وانتظر ابراهيم ان يسعى إليه أبوه مسرورا يعانقه . . شأن الأب عندما يعلم ان ولده قد صار إلى أمر عظيم . . ولكن الرجل راح يضرب يدا بيد ويقلب نظره في ابراهيم حزينا محسورا

ماذا بك يا ابراهيم ؟ أتجد أنت ؟ أتعب يا بني ؟

أبأعصابك مرض يصور لك هذه الأوهام ويرسم لك هذا الخيال

قال ابراهيم - لست مريضا يا أبي - إنني في خير حال - وليس هذا الذي أقوله غير أشياء واضحة يؤمن بها العقل السليم . . أن هذه الحقيقة واضحة وضوح الشمس . . ان كل صناعة لابد لها من صانع حتى هذه الأصنام التي تزعمها أربابا لابد لها من صانع هو أنت

فمن إذن صانع هذه السموات والأرض والجبال والناس والدواب
من هو هذا الصانع ؟ من . . ؟ تكلم يا أبي
وصمت آزر
وقال ابراهيم . . انه الله رب العالمين

* * *

نداء من الشيطان

ولم يجد آزر كلاما يقوله فمضى إلى أحجاره يضربها بقوة كأنما بثها غضبه وبلواه . .

ويرى ابراهيم أباه وقد جذبه إلى العمل سعار مجنون .. ويرى شبحا آخر لا يراه آزر يساعد أباه ويعمل معه جنبا إلى جنب . . إنه مساعد أبيه . . الذي نظر إلى ابراهيم ضاحكا شامتا

ولم يكن هذا المساعد غير المنظور لآزر إلا الشيطان الذي رآه رأى العين ابراهيم .

قال ابراهيم . . يا أبت إني أرى الشيطان . . انه يعمل معك . انه وليك وانه عدوك . وعدو البشر جميعا . لأنه طرد من الجنة بسبب أبيهم آدم فذهب ينتقم من ذريته بأغوائهم عن صراط الله القويم يا أبت لا تتخذ الشيطان وليا

* * *

أصرار آزر على الكفر

ورمى آزر مطرقته وضرب الأرض بقدمه واقبل وهو يفور من الغيظ يهز ابراهيم هزا

لا تتحدث إلى بهذه الترهات . . انني أراك في ضلال دائم كبير

ولئن لم تنته يا ابراهيم عن هذا فلست لى بولد انك لست احب إلى من هـــذه الآلهة فلو انك استمررت فى تسفيهها فلأهجرنك ولاطردنك ولاقيمن بيني وبينك حجابا صفيقا .

* * *

لا يأس مع الايمان

ماذا بعد ذلك يا ابراهيم . . ؟

هذا هو أبوك اقرب الناس إليك يكفر بك ويتوعدك

وإذا كانت قدرتك أنت قد انتهت إلى هذا الحد فدع الامر لله

ان الله يحب دعوة الداعى إذا دعاه

فلو وجد ضال يريد ان يهتدى إلى الحقيقة ولكنه لا يعرف السبيل إليها فان الدعوة الصالحة تشد أزره وتقويه ما لم يكن مكابرا عنيدا مصرا على الغرور

لا تحزن يا ابراهيم اتجه إلى ربك بالدعاء . انه أبوك وانك تحب له الهدى فاطلب له ذلك من الله . . دعوة من قلبك الكبير

انك ستعتزل أباك . فودعه بكلمة خير . . هذا هو أدب الابناء مع الآباء كما علمك ربك

* * *

(واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا إذ قال لابيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ؟ يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا . يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا . يا ابت إني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا . . قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم ؟ لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا . . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا . . واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا)

الرجوع الى الله

خطـــوة أخرى

انتهى ابراهيم من امر ابيه . وقد كان يود ان يكون له اول المؤمنين . فتولى بوجهه شطر القوم وراح يعظهم ويذكرهم بآيات ربهم وعلم بذلك النمرود ملك بابل . فأرسل في الناس رسله ينذرونهم ويحذرونهم ان يكفروا بآلهتهم أو يؤمنوا بما يدعو اليه ابراهيم

وان من يفعل ذلك فسيكون مصيره الى الطريق ..

ومع ذلك فقد آمن بابراهيم قليلون

من اولئك الابطال الذين هم دائما انصار الله ورواد الدعوات لا يغريهم ولا يثنيهم وعيد

من اولئك الصنف من الناس الذين اذا قيل لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم . زادهم ذلك التخريف ايمانا بربهم

هذا شأن القلة من الناس

واما الكثرة الكاثرة منهم . . فقد كان يسعى اليهم ابراهيم فيهزوا رءوسهم منه ساخرين وهم يقولون

لو كنت على حق لآمن بك ابوك

ان اباك يا ابراهيم يصنع لنا الاصنام

* * *

الدفاع عن الباطل

وتبلغ هذه المقالة النمرود زعيم الآلهة المصنوعة من حجر فتثير موجة من فرح . ويرصد المكافآت لمن يتصدى لابراهيم بالتسخية ويدعو اليه آزر ويطلب اليه ان يصنع المزيد من الاصنام

وهكذا كان ابراهيم يسعى فى الارض حاملا مشعل النور يريد ان ينير الطريق للذين يتخبطون فى الظلام

فيسعى هؤلاء لاطفاء نور الحق فلا يستطيعون

فيتركون ابراهيم ويسرعون الى النمرود ليخبروا تحت قدميه ساجدين .. ويقف سفهاؤهم امام ابراهيم مرددين . . لماذا تؤثر نفسك بهذا العناء . ! ؟ عجبا لك . . تعال معنا واسجد للاصنام التي يصنعها أبوك والتي نسجد لها نحن جميعا فيقول في مرارة

(اني بريء مما تشركون . . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا . وما انا من المشركين)

وتنقلب الآية

فان الشيطان يزين لهؤلاء القوم انهم على الحق . وان ابراهيم على الباطل فبدلا من ان يستمعوا الى وعظه وحكمته يعظونه هم فيقولون

يا ابراهيم . . لماذا تحرم نفسك بركات آلهتنا . ؟ ان العيد يقترب .. عيد أول العام يوم تباح لنا اللذات نهبا مباحا لكل راغب فان آلهتنا كريمة لا تقول لنا ان هناك ما يسمى حلالا وما يسمى حراما . . ان آلهتنا تبارك شهواتنا . . فلماذا تلزم نفسك بالله تزعم انه واحد وهذا الاله الواحد يفرض عليك في الحياة نهجا خاصا يقول لك لا تسرق . لا تقتل . لا تزن . فماذا نفعل اذن في الحياة ؟

ان لذة حياتنا في الخمر . والاغتصاب . واللذات

فتعال معنا تعال

لم يكونوا يتكلمون وانما الشيطان هو الذى كان يتكلم على السنتهم
تماما كما يحدث فى كل عصر وفى كل زمان
حين تكون الشهوات هى الارباب المعبوده
الأيام تسرع متتابعة ، وأول العام الجديد يقترب
انه يوم العيد العام

يوم يهبط الفروز من علياته ليسمى على قدميه بين اصنام بابل الثلاثمائة والخمسة والستين . ثم يسلم زمام الأمر إلى واحد منهما فى مستهل العام

وراح القوم يتسابقون فى تقديم الهدايا للآلهة

مصاصو الدماء

وكان ابراهيم يراهم فى مواكب عدة يحدوها الشيطان ، تتجه سمتها الى مدينة الأصنام . . وانه ليرى منهم عجبا ـ هذا رجل عياله من خلفه يصرخون جوعا ثم هو يحرمهم حق الطعام ليشترى ثوبا من حرير يلف به قدمى الصنم المحبوب

وهذا آخر مريض يأكل الداء بدنه يحرم نفسه الدواء ليشترى حلية من ذهب يعلقها فى جيد الصنم المعبود

كان الطغام والفقراء هم وحدهم الذين كانوا يفعلون هذا كبار الكهان فلم يكونوا يفعلون من ذلك شيئا لأنهم هم صانعو

الأكذوبة الكبرى ولأن مصير هذه الأموال والزينات كلها اليهم انهم مصاصوا الدماء

وهذه امرأة تدفع امامها ابنتها العروس إلى ساحة الأصنام ان الفتاة المسكينة الجميلة تبكي وتستغيث ... انها عروس ستزف بعد يومين إلى فتاها - لقد كانت اجمل فتيات المدينة وكان اجمل ما يزينها شعرها الذهبي المرسل على كتفيها

ولكن الأم رأت في المنام ان الصنم الذي تعبده يريد غدائر شعر الفتاة فأسرعت الأم في الصباح تدفع الفتاة لتجز شعرها في الساحة وتجعل منه ضفيرة للصنم المعبود - وتدع ابنتها العروس شوهاء تندب حظها

ان الفتاة تبكي

وان القوم قد هزهم امرها - وراحوا يتضرعون للأصنام ان ترحم الفتاة وان تدع لها زينتها

وصاح ابراهيم

ايها القوم — ان كل واحد منكم قد تحركت في قلبه عوامل الرحمة والشفقة من اجل الفتاة المسكينة — وكل منكم يود ان يرحم الصنم الذي جاء لأمها في المنام وان يلين لضعف الفتاة

* * *

ولكن انظروا ان الاصنام جميعها بكتلة صماء لا يتحرك فى قلبها خيط من رحمة لاجل هذه المسكينة

الا يكون ذلك دليلا على احداهرين.؟ اما ان هذه الاصنام لا ترى ولا تبصر ولا تسمع ..؟ واما انها قاسية القلب لا ترحم ولا تلين ..؟

انكم تزعمون انكم عباد لها ولكنكم اكثر رحمة منها

فاعجبوا لعبادكم اكثر شفقة ورحمة من الآلهة المعبودة الا سحقا لهذه الاصنام ... بالله عليكم اجيبونى لماذا تعبدونها . ؟ أى شىء فيها يجذب قلوبكم نحوها ! اى فائدة ترجى منها ؟ خبرونى

* * *

قالوا وهم ينظرون الى الاصنام الكاملة الوجوه فى شك مريب

اننا لا نرى سببا يدعونا لعبادتها يا ابراهيم .. ولكننا وجدنا آباءنا لها عابدين

وازداد الهمس بينهم لقد نجح ابراهيم فى رسم صورة واضحة لعجز الاصنام عن ان تسدى اليهم يدا . وها هى العروس المسكينة ما تزال تصرخ والقوم جميعها قد حزنوا من اجلها . ولكن الاصنام الارباب المصنوعة هى وحدها القاسية القلوب ... لقد كان كل انسان يريد ان يسمع كلمة من صنم او حركة منه تشير الى الرحمة بالفتاة ..

* * *

تحطيم الأصنام

وجاء المنادي يعلن قرب وصول النمروذ إلى الساحة المقدسة
فأسرع القوم جميعا يولون الأدبار

إلا ابراهيم فقد ظل في موقفه حتى خلت الساحة من القوم . .
فرأى حوله مئات من الأحجار الرابضة تحيط به من كل اتجاه ومن
بين كل صنم منها يتلألأ شيطان

وكان ابراهيم قد أعد لهذه الساعة عدته . فحمل فأسا كان قد
استحضرها وهوى بها على الأصنام جميعا فجعلها حطاما

إلا كبير الأصنام الرابض في صدر الساحة فقد ذهب ابراهيم
ووضع الفأس في عنقه وانصرف

وجاء النمروذ وسعى خاشعا ينظر إلى الأرض بين صفوف الآلهة
ولكن رابه أمر غريب . ذلك انه يرى الأرض مليئة بشظايا
الأحجار ولم يكن قد رفع بصره الهابط إلى الارض خشوعا إلى
وجوه الاصنام فلما رفع بصره ورأى مارأى وأدرك حقيقة الأمر
جن جنونه . . . أتتحطم الآلهة جميعا هكذا . يالللخزي العظيم . . . !

وأسرع جنده يجمعون الناس من كل صوب
وجاءوا جميعا يقولون انه ابراهيم

* * *

وجمع النمرود مستشاريه وطلب اليهم ان يقترحوا عذابا غليظا يوقعه بابراهيم

قال كبير المستشارين ..

ان ابراهيم أثار ذنبا اسخط الناس أجمعين وحطم الآلهة المعبودة جميعا فلو قتلناه لكان القتل شيئا بسيطا بالقياس إلى ذنبه العظيم . انما يجب ان يشترك الناس جميعا فى تعذيبه .. يجب ان يشعر كل فرد انه وحده سيقتل ابراهيم ليجد فى ذلك شفاء غيظه .. ارى ان يجمع الناس جميعا حطبا وكل منهم يظن انه سيحرق هذا الحطب ابراهيم حتى اذا كان الحطب أكواما كالجبال أشعلنا فيه النار والقينا فيه ابراهيم فيكون منظر النار الهائلة شافيا لغيظ الصدور ويشعر كل انسان انه قد شارك حقا فى اعداد هذه النار

قال النمرود مسرورا . هذا أمرى فنادوا فى الناس بالاستعداد ليوم الحريق ..

ابراهيم والنمرود

نادى منادى الطاغية فى القوم ان استعدوا ليوم الحريق . لقد حطم ابراهيم أصنامكم فانتقموا لها ولكم وأعدوا له الحطب

وترك الناس أعمالهم . وأصبح الشغل الشاغل لهم هو جمع الاحطاب ... الصبية يسعون الى الجبال يجمعون الحطب . والرجال

يكدسونه أكداسا تزداد كل يوم بل كل ساعة ارتفاعا . .

والنساء قد شاركن فى هذا الامر العجيب

ان القوم جميعا تقودهم فكرة مجنونة فكرة الانتقام للآلهة المهينة

* * *

وانك لتتساءل ما فائدة كل هذه الجبال من الحطب والاخشاب وكل مادة تصلح للحريق .. ؟ ما الفائدة من هذه التلال العاليه . .

وان أيسر اليسير منها ليكفى لحريق بلدة بأكملها

والجواب على شقين

الشق الاول انه الغيظ الشديد الذى يريد ان يترجم عن نفسه بما يتناسب مع قوته وحدته وشعور كل انسان انه يشارك فى تحريق ابراهيم

والشق الثانى الدرس الذى يريد ان يفرضه الطاغية نمرود على التاريخ ليذهب يوم الحريق مثلا يخيف كل من يريد ان يخرج على الناس بدعوة جديدة ... أى دعوة تفتح عيونهم على حقهم المهيض وتشعرهم بكرامتهم المهينه وتكشف عن ابصارهم غشاوة الجهل

ان الطغاة دائما يريدون الناس ان يعيشوا صما وعميانا

وان ابراهيم ليغدو ويروح بين القوم ويرى هذه الهزلة التى دفعوا الى صناعتها والاستعداد لها

ويأخذه فى ذلك هم كبير . هم من أجل المساكين . لا من أجل

نفسه ... هم من أجل هؤلاء الذين يريدون الأذى بمن يدعوهم
إلى النور ويتبعون طائعين راضين من يمسكهم فى الظلام

ولم يغفل ابراهيم رغم هذا عن دعوته
أنه يسعى مرة ومرارا بهذه الدعوة الى النرود
ترى لماذا يعلق ابراهيم أهمية كبرى على دعوة النمرود بالذات ... ؟
لماذا لا ينصرف عنه ويدعو من هو دونه من الناس ؟
لماذا يتجه كل نبى بدعوته إلى عظماء الدنيا فى الأقوام .. ؟

* * *

الجواب

أن الواحد من هؤلاء أن يهتدى إلى الحق يتبعه قومه أجمعون .
وأن يركب أحد هؤلاء رأسه ويعاند ويكابر يحول بين الناس وبين النور - إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

لا لأن السلطان أقوى من القرآن
ولكن لأن أكثر الناس يرهبون القوة التى يلمسونها بأيديهم
وأما قوة القرآن فى الضمائر والقلوب
لقد اقترب يوم الحريق .
وان الناس به يتواعدون يمنون انفسهم بمشهد يوم عظيم .
زفة عجيبه غريبه يطبل فيها الشيطان ويزمر

من كان مسافرا إلى مكان بعيد ارجأ سفره إلى ما بعد الحريق - ليمتع بصره بالمنظر العظيم . منظر احراق نبي

والأم تنذر ان شفى صغيرها ولدها ان تبيع ما تملك من حلى وتشترى بثمنه حطبا ليوم الحريق

ومع ذلك فهذا هو ابراهيم يطرق باب النمروذ

يا الرجل العظيم - الم يئن لك ان يخشع قلبك لما ادعوك اليه انك تحب الحياة والنعيم - وان حظك منهما فى الدنيا يسير لأنك حتما ميت وقومك ميتون إنى ادعوك الى نعيم خالد بعد الموت . . وادعوك الى الحق الذى يضمن لك فى دنياك عزا وعدلا وكرامة فيحبك قومك حتى انهم الآن لا يحبونك يا نمروذ - وانما يخافونك ويتبعونك لا عن رغبة وانما عن رهبة . وحين تموت ستنقلب هذه الألسن التى تثنى عليك الآن لتصب عليك اللعنات وانى ادعوك إلى الدين الذى لو اخذت به لتبعك الناس عن حب وتقدير ولظلوا لك بعد موتك أوفياء . يذكرونك بالخير . . ويطلبون لك الرحمة وانت هنالك من الملأ الأعلى تنظر اليهم سعيدا قرير العين

قال النمروذ ضاحكا

لقد استمعت إلى مقالك يا ابراهيم . وليس لك عندى جواب وانما ستجيبك النار جواباً شافياً بعد حين .

ولكنها فرصة اعرضها انا عليك كريما سخيا يا ابراهيم . لو تركت انت دعوتك هذه . لاعرت بالاحطاب التي تعد لك ان تزال وليجعلك لي وزيرا فماذا ترى في هذا العرض الكريم يا ابراهيم ..؟

قال ابراهيم ـ معاذ الله

قال النمروذ ـ والنار يا ابراهيم ؟ انظر اما ترى هذه التلال من الاحطاب انها لك وعدك ايها النبي

قال ابراهيم . لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

قال النمروذ . ولقد كتبت انا عليك الحريق يا ابراهيم

قال ابراهيم سترى ايها النمروذ

قال النمروذ ضاحكا .. اذهب يا ابراهيم .. اذهب .. أذهب قال موعدنا يوم الحريق . وانه ليوم رهيب عظيم

ان القوم ينتظرون يومك يا ابراهيم . يوم يجمع جمعك وعادا حطبا برماد الحطب فيجمع كل انسان في قدر او قارورة تذكارا يحتفظ به لنفسه من هذا اليوم المشهود

قال ابراهيم وهو ينصرف آسفا لاصرار الرجل على الغي والضلال ـ ما تهمني نارك ولكني . . . ادعو الله ان يهديك سواء السبيل .

* * *

يوم الطريق

الأعمال معطلة

الأعلام تقام .

القوم يهرعون جماعات وفرادى منذ الفجر ليتخذ كل منهم مكانا يشهد منه النار من بعيد

ولقد حددت ساعة الطريق عند الغروب

كل انسان يريد أن تكتحل عيناه وتقر نفسه برؤية النبي وهو يلقى إلى النـــار وأسرع الجند يفسحون الطريق للنمروذ وهو في طريقه الى الميدان الكبير

ذلك الميدان الذي امتد بين الجبال ـ خارج مدينة بابل ـ حتى لا تمتد النار إلى المدينة المقدسة

وعظماء القوم قد اتخذوا مجالسهم بين النساء والخدم فوق قمم الجبال ليشهدوا من عل هذا المنظر المحبوب

ويجيء بإبراهيم مكبلا بالأغلال يسعى نوره بين يديه . هادئا وقورا كأنما هو يحمل إلى نزهة لولا حسرته على هذا القطيع الذي تتلظى في قلبه نار مجنونة

وقال مستشار المحفل لن يقوى انسان ان يقترب من النار ليلقي فيها بابراهيم ولكننا سنضعه أولا في قاع الوادي ثم يأخذ كل انسان حزمة من حطب فيلقيها عليه

بذلك يشعر الناس جميعا بلذة الانتقام

ففعلوا جميعا وهم يهللون ويصيحون ... كل ينادى باسم الصنم الذى يعبده ويختم دعاءه باسم النمروذ إله الآلهة... وغاب ابراهيم فى جوف الاحطاب التى بلغت مثل الجبال طولا وعرضا وران الصمت على المكان جميعا

واشرأبت الاعناق

واقبل نمروذ وبيده شعله كبيرة تتوهج منها النار وألقى بها على الجبل العالى من الحطب الكثير

واندلعت النار تصرخ وارتفع عمودها وانتشر دخانها

ماذا أصاب القوم

انهم يجرون فى كل مكان ..؟

ان الذعر يجرى خلفهم ويلاحقهم

والنار تجرى فى اعقابهم

لقد جن جنون النار فاندلع لهيبها يصيب المتفرجين ويأتى إليهم على ألوف وألوف ويسبقهم الشرر الى البيوت فيأتى عليها

ويفر نمروذ خائفا مذعورا

وينقضى يومان والنار لم يهدأ لها صراخ... لقد أتت على كل شىء

وحزن نمروذ من أجل مدينته التى احترقت

ولكنه فرح لانه تخلص من ابراهيم

يجمع جنده وذهب ينظر مع من بقى من قومه

ويتقدم الموكب المذعور وبه لهفة قوية إلى البحث عن جسد النبي المحترق ويقترب الموكب رويدا رويدا من مكان النار التي خمدت وتحركت أكواما من الرماد

ويصيح أحدهم يا للعجب العاجب انظروا

ان شجرة خضراء تنبت وسط الرماد

ويصيح آخر وهو يفرك عينيه ذهولا انى لا أصدق ما أرى

ان تحت الشجرة يجرى نهر صغير ويصيح النمروذ في حنق وغيظ

ولكن اين ابراهيم ..؟ ويهتف من تحت الشجرة ابراهيم

يا نمروذ انى هنا لم تمسسنى نارك قد جعلها ربى بردا وسلاما .

انى أدعوك يا نمروذ الى الله الواحد الأحد

وهرول النمروذ رعبا مما رأى كأنما أصابه الجنون

وهرول خلفه كثير من قومه

ولكن آخرين منهم قد وقفوا وقد أشرق على جبينهم نور جديد

لقد آمنوا برب العالمين . . وهتفوا من اعماق قلوبهم

سلاما يا ابراهيم .

وأجابهم ابراهيم سلاما قوم مؤمنون ؟ محمد لبيب البوقى

انتظر الجزء الثانى من قصة ابراهيم بعنوان

(عند بيت الله)

الرسالة التالية

قابيل وهابيل

هي تكملة قصة آدم وحواء

انها ابتداء للمأساة البشرية الخالدة . . التي بدأت منذ هبط آدم من جنته

هي القصة التي تضع ألفاظها بدم الجريمة . . جريمة أخوين قامت بينهم امرأة . . أحدهما رفع بصره إلى الله . . والآخر أسلم زمام نفسه للشيطان .

قصة الحكمة والضلال .

قصة العقل والهدى .

الصراع الدموي الأحمر بين المبادئ والأهواء .

قصة النور والنار .

حقائق قوية مريعة أروع من كل خيال